الباب الثاني

الحرب الصليبية على العالم الإسلامي

●● وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الدور الصليبي في الغارة على العالم الإسلامي والذي مازال مؤثراً.

الفصل الثاني: الهجمة الصليبية في العصر الحديث.

الفصل الثالث: المحاور الأربعة لصياغة خطة إخضاع المسلمين.

الفصل الأول
الدور الصليبي في الغارة على العالم الإسلامي
والذي مازال مؤثراً

حرَّض ضعف المسلمين أعداءهم على التفكير في غزوهم والاعتداء عليهم، وكان من أوائل من دعا للحرب:

• البابا سلفستر الثاني عام ١٠٠٢م:

أول من دعا إلى خوض حرب صليبية، إلَّا أنَّه لم يجد آذاناً صاغية.

• البابا جرجريوس السابع ١٠٧٥م:

• كان الأرثوذكس في بيزنطة ومقرهم القسطنطينية، منقسمين على الكاثوليك ومقرهم روما الذين يخضعون للبابا.

• كان البيزنطيون يحاولون التقدم لحرب المسلمين من المشرق، على حين تحاول روما التقدم في الأندلس.

• أراد البابا جرجريوس السابع أن يجمع العالم المسيحي حوله، فدعا إلى توحيد الهجمات على المسلمين في الأندلس، فاجتمعت الجيوش الأوروبية على مسلمي الأندلس، إلَّا أنَّ الله قيَّضَ لهم أمير المرابطين في المغرب «يوسف بن تاشفين» الذي اجتاز نهر الزقاق بنفسه، وانتصر على الصليبيين في معركة «الزلاقة» عام ٤٧٩هـ.

• البابا إربان الثاني عام ٤٨٩هـ/ ١٠٥٩م:

دعا البابا إربان الثاني إلى اجتماع عام لرجال الدين في «كيرمونت» عام ٤٨٩هـ، حضره ٣٠٠ مندوب. وقبل اختتام المؤتمر الذي استمر ١٠ أيام ألقى البابا خطبة بيَّنَ فيها الهدف الأساسي للمؤتمر، وهو: «الدعوة إلى حرب صليبية عامة ضد

المسلمين».

ودعا الأمراء لنبذ الخلافات فيما بينهم وتوجيه جهودهم للاستيلاء على أراضي المسلمين بحجة تخليص بيت المقدس، وقدم للحاضرين صليب الخلاص وأعلن أنه سيغفر ذنوب وخطايا كل من يشترك في هذه الحرب، ودعا كل من يذهب في الحرب أن يحمل إشارة الصليب على صدره، وطلب منهم الاستعداد للانطلاق في عيد العذراء ١٥ أغسطس عام ١٠٩٦م، وبدأ البابا يتنقَّل في مدن أوروبا داعياً لهذه الحرب الصليبية، وطلب من الأساقفة أن يبشِّروا بذلك.

● **أهداف الحروب الصليبية:**

١ ـ **أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم:** عندما أحسُّوا بخطر المسلمين على ديانتهم، ورؤوا فتوحات المسلمين في الأندلس وأوروبا تصل إلى جنوب إيطاليا وفرنسا، أحسُّوا بشدَّة الخطر، وبدأ التفكير في الهجوم المضاد على المسلمين؛ لوقف هذا الزحف الجارف.

٢ ـ **إيجاد العائق النفسي الذي يحول دون الدخول في الإسلام:** لأنَّ الحروب تولد الحقد والضغينة في القلوب لفترات بعيدة؛ مما يحول دون تقبّل أهل أوروبا والعالم المسيحي للإسلام بعد ذلك.

٣ ـ **إقامة إمارات صليبية في قلب العالم الإسلامي:** فتتمع وتتوسع هذه الإمارات حتى تقضي على المسلمين، وتقوم أيضاً بشغل المسلمين في حروب مستمرة، فلا يفكرون في غزو بلاد النصارى.

● **ادِّعاء العائد الاقتصادي:**

يدَّعِي البعض ـ كما هو موجود في كتب التاريخ المدرسية ـ أن السبب في تلك الحروب، كان بصفة أساسية: طمع أوروبا في خيرات بلاد المسلمين، وأن هذه البلاد تفيض لبناً وعسلاً؛ وذلك لطمس حقيقة أن الحرب دينية مقدَّسة هدفها القضاء على الإسلام.

● **الوقائع تؤكد الأهداف:**

سفك دماء المسلمين في بيت المقدس: يسجل التاريخ أن الحملة الصليبية على بيت المقدس في الثاني من رمضان عام ٤٩٣هـ الموافق ١٠٩٩م انتهكت حُرْمة المسجد الأقصى، وأسالت أنهاراً من الدماء داخل المسجد، حتَّى إنَّ مؤرخيهم قالوا: «لقد غاصت الخيل إلى صدورها في دماء المسلمين»؛ حيث قتلوا ٧٠ ألف مسلم.

● **تصريحات تكشف الحقائق:**

فقد صرَّح بعضهم فقال (وهو من المؤرخين المعاصرين): «لقد خابَ الصليبيون في انتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين ليقيموا دولة مسيحية في قلب العالم الإسلامي، والحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة ـ القدس ـ بقدر ما كانت لتدمير الإسلام».

هذه الحقائق موجودة في القرآن:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وفي النهاية، استمرت الحروب حوالي القرنين من الزمان، خاض فيها المسلمون حروباً عنيفة مثل: عماد الدين زنكي (٥٤١هـ)، ونور الدين زنكي (٥٦٩هـ)، وصلاح الدين يوسف بن أيوب، وقطز، وبيبرس، وقلاوون. ولم تنته إلَّا بعد هزيمتها النكراء في الحملة الصليبية السابعة وأَسْر قائدها لويس التاسع عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م.

● **التحالف الصليبي مع المغول:**

التحالف المجرم:

في الوقت الذي ضَعُفَ فيه الصليبيون، ظهرت قوَّة مخفيَّة في شرق بلاد المسلمين، حيث كان المغول يجتاحون البلاد التي يدخلونها وينهبونها ويتركونها خراباً بعد أن يفتكوا بأهلها وينتهكوا حُرُماتها.

سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ:

نجح الصليبيون في التحالف مع المغول، وحرَّضُوهم على اجتياح أراضي المسلمين حتى زحف المغول على ديار المسلمين وخربوها إلى أن وصلوا إلى بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم، وقتلوا كل من رؤوه في طريقهم، وهتكوا الأعراض، واستباحوا الْحُرُمَات، وتعطلت المساجد والْجُمَع، وقُتِلَ الخطباء والأئمة وحملة القرآن، وكان الرجل يستدعى بأولاده إلى القبور، فيُذْبَحُ كما تُذْبَحُ الشياه، ويؤسر من يختارون من بناته. واستمرَ هذا الحال ٤٠ يوماً بقيت بغداد خاوية على عروشها إلَّا من تلال الجثث والقتلى في الطرقات، ويقدّر المؤرخون عدد القتلى بحوالي ألف ألف قتيل، وكان ذلك عام ٦٥٦ هـ.

دلائل التحالف الوثني بين الصليبية والمغول:

ظهرت دلائل ذلك التحالف النصراني مع المغول، متمثلة في أشياء معينة، منها:

١ ـ عدم تعرض المغول للإمارات الصليبية في الشام، مثل: أنطاكية، ويافا، وعكا.

٢ ـ استخدام الصليبيين للنساء في تحريض المغول، ويتضح هذا عندما يعلم أن جنكيزخان تزوج من فتاة نصرانية من أسرة تتارية تدين بالنصرانية، وتزوج ابنه الثالث وخليفته «أوجتامي» بفتاة نصرانية. وكان «جعطاي» الابن الثاني لجنكيزخان من ألد أعداد الإسلام. وتزوج «هولاكو» فتاة نصرانية كانت الدافع الرئيس في شَرِّهِ الذي صَبَّهُ على بغداد والشام. ونشأ ابن هولاكو «تكودار» على النصرانية قبل أن يدين بالإسلام، ونتيجة إسلامه، قُتِلَ بيدأخيه «أرجون» الذي كان من أشد أعداء الإسلام، كما اعتنق عدد من المغول النصرانية في جورجيا وأرمينيا عن طريق الإغراء.

أحسَّ المسلمون بالخطر، فهبُّوا للدفاع عن حُرْمة الإسلام، تحت قيادة «سيف الدين قطز»، وانتصروا على المغول في «عين جالوت» عام ٦٥٨ هـ.

● **تغيير التكتيك الصليبي:**

كان أمام البابا «ساسلتين الخامس» فكرتان جديدتان لحرب المسلمين:

أولاً: عرض رمون لُل(رئيس أساقفة طليطلة) غزو المسلمين تبشيرياً بالعلم والمدارس.

ثانياً: تنصير المغول واستخدامهم في حرب المسلمين: فحاولوا بأساليب شتى ـ كما ذكر قبل ذلك ـ ومهَّدوا لذلك زمناً طويلاً، إلَّا أنَّ جهودهم باءت بالفشل واعتنق المغول الإسلام، وفشلت هذه الخطة، بعد انتصار المسلمين.

● **انتصارات المسلمين على يد محمد الفاتح:**

فوجئَ الصليبيون بشدَّة ضربات المسلمين على يد محمد الفاتح، وفتح القسطنطينية، وطار صواب البابا حتى إنَّه أقام صلوات الشكر لمدة ٣ أيام عندما علم بوفاة السلطان محمد الفاتح، واعْتُبِرَ يوم موته عيداً رسمياً يُحْتَفَلُ به.

الاقتناع بخطة لُل: فلم يتبق غير هذه الخطة لمواجهة المسلمين:

وتتلخص في: غزو المسلمين تبشيرياً عن طريق العلم والمدارس، وإيجاد علاقات طيبة مع بعض الطوائف؛ للنفاذ من خلالهم لبقية العالم الإسلامي.

الموارنة في لبنان: كان للعلاقات الطيبة مع الموارنة في لبنان، مدخل مناسب؛ حيث أرسل «يوحنا» أمير الموارنة ابنه «سمعان» بنجدة لا تقل عن ٢٥ ألف مقاتل لنصرة «لويس التاسع» عام ١٢٥٠م عندما قدم إلى عكا.

بعدها صرَّح «لويس التاسع»: «نحن مقتنعون بأنَّ هذه الأمَّة التي تعرف باسم «القديس ماون» هي جزء من الأمة الفرنسية، وأن فرنسا تتعهد بحمايتهم، وهذا يفسِّر أسباب تدخل فرنسا المستمر حتى الآن في لبنان مع الجانب المسيحي والموارنة خاصة.

الأخذ بوصية لويس التاسع الذي أسر في الحملة الصليبية في المنصورة، وتعرَّف إلى المسلمين عن قُرْب، فقال:

«لا سبيل إلىٰ التغلب علىٰ المسلمين عن طريق القوة الحربية؛ لأنَّ تدينهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاز، ولا بد من سبيل آخر وهو: تحويل الفكر الإسلامي، وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري، بأن يقوم العلماء الأوروبيون بدراسة الحضارة الإسلامية؛ ليأخذوا السلاح الجديد منها الذي يغزون به الفكر الإسلامي».

* * *

الفصل الثاني
الهجمة الصليبية في العصر الحديث
(الاستعمار)

• الحملة الصليبية الثامنة:

بعد أن وهنت قوىٰ المسلمين، واشتدَّ عود الصليبيين، أعاد الاستعمار غاراته علىٰ العالم الإسلامي، وصرَّح زعماؤه ومفكروه بذلك مرات ومرات.

• يقول بانوسون سميث في كتابه: «إنَّ حملة اللنبي علىٰ القدس أثناء الحرب العالمية الأولىٰ، هي الحملة الصليبية الثامنة والأخيرة».

• نشرت الصحف البريطانية صور «اللنبي» وكتب تحتها العبارة التي قالها عندما دخل القدس سنة ١٩١٧م: «اليوم انتهت الحروب الصليبية».

• هٰذا ليس موقف اللنبي، ولكن موقف السياسة الإنجليزية كلها، فقد أعلنت الصحف أن «لويد جورج» وزير الخارجية البريطاني هنَّأ الجنرال اللنبي في البرلمان البريطاني لإحرازه النصر في آخر حملة من الحروب الصليبية.

• وعندما تغلَّب الجنرال الفرنسي «جورو» علىٰ جيش ميسلون خارج دمشق، توجَّه فوراً إلىٰ قبر صلاح الدين وركله بقدمه، وقال: «ها قد عُدْنَا يا صلاح الدين».

ويعتبر حزب الكتائب في لبنان، أن حرب لبنان في الفتنة الأخيرة بينهم وبين المسلمين، حرب صليبية، فقد نشرت صحيفة العمل الناطقة بلسان حزب الكتائب «مانشيت» الجريدة بعنوان: «آخر الأخبار عن الحرب الصليبية».

ولكن لماذا تعود الحرب الصليبية مرة أخرىٰ بعد كل هٰذه المؤامرات؟! والحروب في القديم والحديث.

لماذا لم يكتفوا بكل هٰذه المخططات والمؤامرات التي تقصم ظهر أقوىٰ شعوب الأرض. وبتحليل هٰذه الأقوال وغيرها، نجد أنهم يخافون، يخافون من بعث

الإسلام من جديد في نفوس المسلمين، لذلك فكَّروا في الإجهاز التام على المسلمين، وليكن ذلك إجهاز فتك وإبادة، فما السبب يا تُرَىٰ؟!

١ ـ التخوّف من استيقاظ المسلمين مرة أخرى:

وللدلالة على ذلك نستعرض أقوال: مبشري، ومستشرقي، وسياسيِّ الغرب. وهم الذين يمثِّلون الشكل الجديد لجنود الحملة الصليبية في العصر الحديث.

يقول المبشر «**زويمر**»: «إنَّ جزيرة العرب التي هي مهد الإسلام، لم تزل نذير خطر».

يقول المستشرق «**جاردنر**»: «إنَّ القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا».

يقول «**جلادستون**» رئيس وزراء بريطانيا آن ذاك: «ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان».

٢ ـ والإسلام هو الجدار الصلب في وجه الاستعمار:

يقول «لورانس براون»: «إنَّ الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي».

يقول «هنري هاملتون» في كتابه: «إنَّ المسلمين لا يستطيعون أن يكونوا رعية وفية لحكومة تدين بغير الإسلام؛ لأنَّ ذلك مستحيل في ظل أحكام القرآن».

يقول «لورانس براون»: «كان قادتنا يخوفوننا بشعوب مختلفة، ولكننا بعد الاختبار، لم نجد مبرراً لمثل تلك المخاوف، كانوا يخوفوننا بالخطر اليهودي، والخطر الياباني، والخطر البلشفي، لكنه تبيَّن لنا أن اليهود هم أصدقاؤنا، والبلاشفة الشيوعيون حلفاؤنا. أمَّا اليابانيون: فإنَّ هناك دولاً ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتهم، لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته المدهشة».

والآن قد تحقق قول «لورانس»، فأصبح اليهود أصدقاء، والشيوعيون الأول

حلفاء، واليابانيون تتكفل بهم أمريكا وغيرها، والمسلمون هم الأعداء! فهل يفهم عندنا الأغبياء؟!

● **الأهداف:**

١ ـ تقسيم بلاد المسلمين: يقول «لورانس براون» كذلك: «إذا اتحدَّ المسلمون في امبراطورية عربية، وأمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، أمَّا إذا بقوا متفرقين فإنَّهم يظلون حينئذٍ بلا وزن ولا تأثير».

هل صدق هذا أو لا؟!

٢ ـ الإجهاز على كل قسم على حدة: يقول المستشرق الفرنسي «كيمون»: «أعتقد أنَّ من الواجب إبادة خُمس المسلمين، والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة، وتدمير الكعبة، ووضع قبر «محمد» وجثته في متحف اللوفر»!

● **الوسائل: تطور الشكل النهائي للمخططات:**

مما سبق... تفتقت أذهان أعداء الإسلام إلى تصور جديد للمخطط الشيطاني لتدمير الإسلام، وهو تصوير الإسلام بالرجل الذي يريدون القضاء عليه، فيقومون بقطع رأسه، ونزع الروح منه، ثم تقطيع الأوصال؛ لضمان عدم رجوع الحياة إليه مرة أخرى؛ وذلك كالآتي:

١ ـ إسقاط الخلافة «قطع الرأس».

٢ ـ محاولة توهين العالم الإسلامي وقتله نفسياً.

٣ ـ التصفية الجسدية «تقطيع الأوصال».

أولاً: إسقاط الخلافة «قطع الرأس»:

أهمية الخلافة، وتتمثل في:

١ ـ توحيد المسلمين كقوة عظمى:

يقول «لورانس براون» كذلك: «إذا اتحدَّ المسلمون في امبراطورية عربية، وأمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، أمَّا

إذا بقوا متفرقين فإنَّهم يظلون حينئذٍ بلا وزن ولا تأثير»[١].

وهكذا يشهد أعداء الإسلام بأهمية توحيد المسلمين بالخلافة.

٢ ـ حماية المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها:

وقصة المرأة التي صاحت: «وامعتصماه!»، فجيَّشَ المعتصم لها الجيوش الجرَّارة، حتىٰ أشعل النيران في سقط رأس الأمير الرومي الذي اعتدىٰ عليها. هٰذه الواقعة تشهد بحماية الخلافة والخليفة، للمسلمين في أي مكان.

٣ ـ الانتصارات الفاصلة لا تكون إلا في وجود خليفة:

والأمثلة كثيرة. منها: مواقع «حطين»، «عين جالون» تحت قيادة الخليفتين صلاح الدين وقطز.

٤ ـ الخلافة ضرورة شرعية:

عندما قدم الصحابة علىٰ انتخاب الخليفة، وذلك عند موت رسول الله ﷺ، وكأنهم كرهوا القيام بأي عمل قبل تعيين الخليفة حتىٰ ولو كان دفن الرسول ﷺ.

ثانياً: محاولة توهين العالم الإسلامي وقتله نفسياً:

فإنَّ أعداء الإسلام يقومون هٰذه الأيام بمخططات مهلكة؛ ليضعوا الأمَّة المسلمة علىٰ طريق الضياع والبوار والتخريب، منها:

١ ـ **محاولة الوقيعة بين المسلمين**، وبث الفرقة فيما بينهم أفراداً وجماعات وشعوباً، وسندع للنصوص، الحديث عن هٰذا المخطط اللَّعين:

يقول براون: «إذا اتحدَّ المسلمون في امبراطورية عربية، وأمكن أن يصبحوا لعنة علىٰ العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، أمَّا إذا بقوا متفرقين فإنَّهم يظلون حينئذٍ بلا وزن ولا تأثير»[١].

ويقول القس «كالهون سيمون»: «إنَّ الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السود وتساعدهم علىٰ التخلص من السيطرة الأوروبية، ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً

(١) الإسلام والإرساليات، لبراون، ص ٤٤، ٤٨.

في كسر شوكة هـٰذه الحركات؛ ذلك لأنَّ التبشير يعمل على إظهار الأوروبيين في نور جديد جذَّاب، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها[١] فوحدة المسلمين إذن، يجب أن تتفتت ويعمل على بذر العداء بينهم.

٢ ـ محاولة اتهام الإسلام بالتهم الباطلة، مثل: الإرهاب، والانتشار بالسيف، وأنه دين القتل وليس دين الإيمان، وأنَّه دين مادي وليس دين روحي.

يقول «**جوليمين**» في كتابه «تاريخ فرنسا»: «إنَّ محمداً، مؤسس دين المسلمين، قد أمر أتباعه أن يبدِّلوا جميع الأديان بدينه هو، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين «المسلمين» وبين النصارىٰ! إنَّ هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة، وقالوا للناس: أسلموا أو موتوا، بينما أتباع المسيح رجوا النفوس ببرهم وإحسانهم[٢] ومازال هـٰذا الاتهام يدور في عقولهم، وعليه اليوم مزيد، ويفرحون للأعمال الطائشة التي يفعلها بعض الناس ليزكُّوا هـٰذا الاتهام الدَّفين من قديم.

٣ ـ استخدام الأساليب الخدمية في التأثير على المسلمين والعمل من خلالها؛ لزعزعة العقيدة والاحترام للإسلام ولتعاليمه، مثل: المؤسسات الخيرية، والطبية، والتعليمية، ويجب أن يكون مصاحباً لذلك التعاليم المسيحية، حتىٰ لا ترجع تلك الخدمات إلىٰ المسيحية وهي خالية الوفاض.

٤ ـ محاولة تشويه التاريخ الإسلامي: مدح خالد بن الوليد، وتشويه عمر بن الخطاب بوصفه بالغيرة [ويلز]، والتشكيك في خلافة أبي بكر، عمر، عثمان، وأنهم انتخبوا بطريقة غير رسمية، صراع الحكم بين علي ومعاوية، وتشويه صورة الخلافة العثمانية.

٥ ـ تشويه نظام الحياة الإسلامية: النظام بشُعَبِه الْخُلُقِي والاقتصادي والسياسي، فاتهموا النظم الإسلامية بالقصور والتَّخَلُّف والرَّجعيَّة والهمجية والقسوة، خاصة ما يتعلق بالرَّجم، والقطع، والجلد. وادِّعائهم أيضاً بأن القوانين الإسلامية تتجاهل

---

(١) التبشير والاستعمار، ص ٣٢.

(٢) ص ٨ ـ ٨١ من كتابه.

الأقليات غير المسلمة.

٦ ـ **محاولة تشويه التراث الإسلامي:** ويقصد به، مجالات العلم والمعرفة كافة من: طب، وصيدلة، وكيمياء، وفيزياء، وفلك، ورياضيات، وهندسة، ومبانٍ، وكل نظم الحياة. ووصف التراث بالمصيبة الإسلامية (كانياني/ يوسف شاخت).

٧ ـ **احتقار الدين.**

٨ ـ **استدراج المسلمين لجامعاتهم؛** لمنحهم الشهادات العليا والدراسات.

٩ ـ **فصل العلوم الدينية عن العلوم الدنيوية،** واصطناع الخلاف بينها.

١٠ ـ **التحريف في مفهوم:** التَّوكّل على الله، الرضا بالقدر، الجهاد.

١١ ـ **محاربة اللغة العربية.**

١٢ ـ **استخدام أسلحة الإعلام،** مثل: التليفزيون، والمسرح، والسينما، والجرائد، والمجلات.

١٣ ـ **استخدام سلاح المرأة والاختلاط في المدارس والجامعات والأماكن الحكومية:** يقول اليهود في البروتوكولات: «يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان». يقول «**زويمر**»: «إنَّكم أعددتم نشئاً لا يعرف الصلة بالله، وبالتالي جاء النشء طبقاً لما أراد له الاستعمار، لا يهتم بالعظائم، وإنَّما يحب الراحة والكسل، ولا يعرف هماً في دنياه إلَّا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات».

سُئِلَ «**ماركس**»: «ما البديل لشغل الناس عن عقيدة الألوهية»؟

هٰذا كان في زمن لا يوجد فيه سينما ولا تلفاز ولا فيديو، ولا قنوات فضائية إباحية! أمَّا الآن فقد فُتِحَت أبواب الشرّ على مصراعيها، والآن فقد ثقلت مهمة المربين والدُّعاة. إلَّا على من رحم ربك.

ثالثاً: التصفية الجسدية «تقطيع الأوصال»:

وذلك سيطرة غير المسلمين عليهم، والتحريض على تصفيتهم في الفتن والحروب. **وإليك بعض تلك النماذج:**

١ ـ **المسلمون تحت الحكم الصليبي**: الفلبين، إثيوبيا، الهند، إريتريا، تايلاند، كشمير... إلخ.

٢ ـ **المسلمون تحت التهديد الشيوعي المنهار، وبعده الغرب الوريث**: بلغاريا، الصين، أفغانستان، الولايات المسلمة في روسيا، الصومال، يوغسلافيا، ألبانيا.

٣ ـ **المسلمون تحت النفوذ الصهيوني في فلسطين**: صبرا وشاتيلا، دير ياسين، وأجزاء من الأقطار العربية.

٤ ـ **المسلمون تحت حكم الولاءات**: تركيا، مصر، تونس، الشام، الجزيرة، باكستان، البوسنة والهرسك، ألبانيا... إلخ.

٥ ـ **هذا عدا كثير من الفتن والوقيعة والحروب بين المسلمين**، وحروب الأقليات المسلمة مع غيرهم، وتصفيتهم في العالم كل يوم بأفعال تحريضية؛ كإحياء العصبيات، وهتك الحرمات، وهدم المقدسات، وإثارة النعرات والحزبيات، وإشاعة المظالم وزرع الكراهية، ومساندة المعتدين.

* * *

الفصل الثالث
المحاور الأربعة
لصياغة الخطة لإخضاع المسلمين

● **الاستفادة بوصية «لويس التاسع»:**

بدأت صياغة خطة تُنَفَّذُ من خلال **أربعة محاور**:

١ ـ محور التبشير والاستشراق.

٢ ـ محور الاتجاهات الفكرية.

٣ ـ محور الجمعيات والأحزاب.

٤ ـ محور محاربة الاتجاه الإسلامي والتشكيك فيه.

● **أولاً: محور التبشير والاستشراق:**

* **الاستشراق:**

يعني: تعلّم علوم الشرق. وقد نشأ قبل الحروب الصليبية؛ لبحث أحوال الغزاة المسلمين الذين وصلوا لقلب أوروبا. وقد كان الرهبان يقصدون الأندلس إبان عظمتها ومجدها يتلمذون على يد علماء المسلمين في مختلف العلوم. ومن أوائل هؤلاء الرهبان: الراهب الفرنسي «**جورث**» الذي انتُخِبَ بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩م، والراهب «**بطرس المحترم**».

ويقول المؤرخ النصراني «**فيليب دي طرازي**»: «إنَّ الأحبار والرُّهبان صاروا يتعلَّمون العربية بأمر من البابوات». ويلاحظ أنَّها كانت وصية الملك «**لويس التاسع**» بعد عودته من الحملة الصليبية الأخيرة على بلاد المسلمين.

* **التبشير:**

ويعني: نشر المسيحية. وقد تأخَّرَ التبشير عن الاستشراق برغم مصاحبته له وتأثيره فيه، ثم صحب الحروب الصليبية موجهاً لها، ثم استمرَّ بعد الحروب

الصليبية. وهنا يلتقي التبشير مع الاستشراق. فقد توجه التبشير للعقيدة؛ لمحاولة قتلها بالفكر، متعاوناً مع الاستشراق بعدما فشل في قتلها بقوة السلاح، كما في وصية الملك «لويس التاسع».

فالاستشراق يحاول التشكيك العلمي والدلالة على موطن الشُّبَه ومحاولة الاختراق، والتبشير يستغل ذلك لتبييض وجه المسيحية ونشرها بين المسلمين كما سيأتي.

* **أهداف التبشير والاستشراق:**

١ ـ تنصير المسلمين:

يقول المبشر (رايد): «إنني أحاول أن أنقل المسلم من (محمد) إلى (المسيح)».

٢ ـ تشكيك المسلمين في إسلامهم وثقافتهم وعقيدتهم:

يقول (زويمر) زعيم المبشرين في مؤتمر القدس عام ١٩٣٥م: «إنَّ مهمَّة التبشير التي ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية، ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإنَّ هذا هداية لهم وتكريماً، وإنَّما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ولا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به في الأعوام المئة السالفة خير قيام».

٣ ـ تعهد بعض الأشخاص للقيام بدور المستعمر:

(١) ضياء كوك (تركيا):

حمل لواء علمانية تركيا ودعا إلى الانسلاخ من الإسلام وحضارته وعيّن أستاذاً أول لعلم الاجتماع بجامعة استانبول عام ١٩١٥م.

(٢) مصطفى كمال (تركيا):

كان يبغض الإسلام ودعاته، ويقول: «إنَّ قوة الفعل وقوَّة الإرادة، تتغلبان على قوة الإله. واعتبر الدين غير لازم، وألغى الخلافة عام ١٩٢٤م، وسلخ تركيا عن الإسلام، وأعدم رجال الدين، وألغى الحجاب، واستبدل الحروف العربية

باللاتينية، ومنع الأذان بالعربية، وتحية السلام عليكم، واستبدلها بـ «رفع القبعة والانحناء».

(٣) رفاعة الطهطاوي في (مصر):

كان من شيوخ الأزهر، ذهب في بعثة تعليمية إلى باريس، ثم عاد وهو يتحدث عن الرقص كأنه فن من الفنون ورياضة للجسم، ضمن باقي الرياضات عندنا. وخلط بين أصول الفقه التي تقوم عليها الاجتهادات الفقهية وبين الأسس التي تقوم عليها قوانين الغرب الوضعية التي لا تخلو من الهوىٰ والباطل، ثم تخبَّط في الحديث عن المسرح، وأنَّه مدرسة عامة، فيها يتعلَّم العالم والجاهل. وتخبَّط في الاختلاط، وغير ذلك. ولا شك أنَّ للمسرح الهادف دوراً مهماً، إذا كان هادفاً وملتزماً.

(٤) طه حسين (مصر):

حاول إنكار ربانية القرآن في كتابه «الشعر الجاهلي»، وادَّعَىٰ أن رقة القرآن المدني ترجع إلى تأثير اليهود في المدينة؛ وذلك إرضاءً لأستاذه «دوركايم» اليهودي، واستهلَّ حياته الأدبية بإنكار وجود إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ وهو صاحب القول المشهور: «لو وقف الإسلام حجر عثرة بيننا وبين فرعونيتنا لنبذناه». وكان يدعو لمسايرة الأوروبيين واتِّباع طريقهم حتىٰ نكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرّها، ما يحمد منها وما يُعاب عليها، وأن نُشْعِرَ الأوروبي أننا نرىٰ الأشياء كما يراها، ونحكم عليها كما يحكم عليها.

٤ ـ تخريب التطور التعليمي في المنطقة:

قام المستشرقون بتعديل في وسائل هٰذه المحاور بالوسائل الأكثر تطوراً:

* **الوسائل المقترحة:**

(١) التعليم في الروضات:

يقول «**هنري حبيب**» موضحاً الهدف من التعليم في تصوره (وهو من أكبر المبشرين في الشرق الإسلامي):

«إنَّ التعليمَ هو وسيلة إلى قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتىٰ يصبحوا أفراداً

وشعوباً مسيحية، ولكن حينما يخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض والنبات وخير الجراحين والأطباء، فإنَّنا نقول حينئذٍ: إنَّ رسالة التعليم خرجت عن المدىٰ التبشيري إلىٰ مدىٰ علماني».

يقول «**حنا ميكان**»:

«إنَّ للمدارس قوَّة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي أكثر من كل قوة أخرىٰ، ثم إنَّ هٰذا التأثير يستمر حتىٰ يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً ما قادة في أوطانهم».

يقول «**زويمر**» في مؤتمر القدس عام ١٩٣٥م:

«لقد قبضنا في هٰذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلىٰ يومنا هٰذا، علىٰ جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية . . . إنَّكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلىٰ قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد».

قالت المستشرقة «**آدا ميليفان**»:

«في صفوف كلية البنات في القاهرة، بنات آباؤهن باشوات وبكوات، وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هٰذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي، وليس ثمة طريق إلىٰ حصن الإسلام أقصر مسافة من هٰذه المدرسة».

في الجامعة الأمريكية:

أجبروا الطلاب علىٰ دخول الكنيسة، والاستماع إلىٰ مواعظ الأحد، والقيام بالطقوس المسيحية، وعندما احتجَّ الطلاب، أعلن مدير الجامعة عام ١٩٠٩م في بيان: «أنَّ هٰذه الجامعة مسيحية، أُسِّسَت بأموال شعب مسيحي، هم اشتروا الأرض، وهم أقاموا الأبنية، ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يسندها هؤلاء، وقد فعلوا كل هٰذا ليوجدوا تعليماً يكون الإنجيل من مواده، فتعرض منافع الدين المسيحي علىٰ كل تلميذ، وعلىٰ كل طالب يدخل إلىٰ مؤسساتنا أن يعرف مسبقاً ماذا يُطْلَب منه»!

(٢) المطبوعات:

اعتنى المبشرون والمستشرقون بالمطبوعات، فألَّفُوا الكتب، وأصدروا المجلات والجرائد، وأنشؤوا دوراً للنشر. أخطر ما قاموا به، إصدار «دائرة المعارف الإسلامية» بعدة لغاتٍ، والخطورة تكمن في كونها مرجعاً لكثير من المسلمين في دراساتهم الآن!

كذلك أخطر المجلات التي يصدرها المستشرقون الأمريكيون، هي «مجلة العالم الإسلامي» التي أنشأها «صموئيل زويمر» عام ١٩١١م.

(٣) الخدمات الطبية والاجتماعية:

التوصل بالخدمات الطبية لتغيير الأفكار، والتأثير في الاتجاهات، فأنشؤوا المستشفيات والمراكز الاجتماعية، والجمعيات، مثل: جمعية الشبان المسيحيين، وجمعية الشابات المسيحيات. وكما يقول «**أديسون**»:

«إنَّ فروعَ هذه الجمعية، قد نشرت في الشرق؛ لتكون عوناً على تغلغل التبشير المسيحي».

وجاء في كتاب اسمه «مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين»:

«نحن نعني بالعمل الاجتماعي المسيحي، وتطبيق مبادئ يسوع المسيح في جميع الصلات الإنسانية. إنَّ المسلمين يدَّعُون أنَّ في الإسلام ما يلبي كل حاجة اجتماعية في البشر، فعلينا أن نقاوم الإسلام دينياً بالأسلحة الروحية... من أجل ذلك نحن ننصح بالسير في الأعمال الاجتماعية».

يُلاحظُ أن الأديرة اتخذت خطوات لجذب المسلمين والمسيحيين إليها، والرحلات السياحية للآثار المسيحية، كما في أديرة لبنان، ودير الأنبا مقار في وادي النطرون، وكما في سيناء.

(٤) رعاية بعض الأحزاب والمنظمات والتدخل في شئون الإدارة المحلية:

للسيطرة على الطرح الفكري والسياسي والتعليمي، ولذلك كان معظم مؤسسي الأحزاب والمنظمات غير مسلمين، مثل:

ميشيل عفلق: لحزب البعث العربي الاشتراكي.

جورج حبش: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

نايف حواتمة: الجبهة الديمقراطية.

جورج سعادة: للحزب القومي السوري.

وأمَّا عن التدخل في الإدارة المحلية: فيشهد الرئيس الخوري رئيس لبنان أنَّ الآباء اليسوعيين هم الذين أوصوا بتعيين الفرد نقاش رئيساً للجمهورية.

وتدخل المندوب السامي الفرنسي ذات مرة وحلَّ البرلمان، وعلَّق على الدستور للحيلولة دون انتخاب الشيخ محمد الجسر رئيساً للجمهورية في لبنان.

● **ثانياً: محور الاتجاهات الفكرية:**

الهدف:

١ ـ تغريب الشرق المسلم في حضارته وتصوراته ومنهجه في الحياة.

٢ ـ تفتيت المسلمين فكراً وانتماءً.

الوسائل:

عمد أصحاب الغزو الفكري إلى حملة من الوسائل؛ لتحقيق أغراضهم، منها:

إنشاء الاتجاهات الفكرية، مثل:

(١) الاتجاهات القومية:

أ ـ القومية التركية.

ب ـ القومية الفارسية.

جـ ـ القومية العربية.

ثم تفتيت القومية العربية إلى:

أ ـ الفرعونية (في مصر).

ب ـ الفينيقية (في لبنان).

جـ ـ الآشورية (في العراق).

د ـ البربرية (المغرب العربي).

(٢) الاتجاه الشيوعي المنهار:

الذي يقوم على مبدأ (أنَّ الدين خرافة)، و(الدين أفيون الشعوب)، و(لا إلـه والحياة مادة).

(٣) الاتجاه الاشتراكي:

وهو النظام الاقتصادي للشيوعية، وتقوم على إلغاء الملكية الفردية، وامتلاك الدولة لكل وسائل الإنتاج.

(٤) الاتجاه العلماني:

ويعني: فصل الدين عن الدولة في كل المجالات.

كل هـذه المبادئ المنهارة، عملت في بلاد المسلمين عملها قبل اندحارها إلى مزابل التاريخ، وقد اعتنقها عندنا حكام أهلكوا في سبيلها كثيراً من القوى الشعبية والوطنية.

• ثالثاً: محور الجمعيات والأحزاب:

ثالث المحاور الأربعة لضرب المسلمين، وهو: محور الجمعيات والأحزاب المشبوهة، منها:

١ ـ الماسونية:

وهي حركة يهودية. من أهدافها: محاربة الأديان. ويتفرع منها نوادي: الروتاري، والليونز... وغيرها. وقد انخدع بها كثير من المسلمين زمناً إلى أن ظهرت على حقيقتها. وهناك اليوم من يريد أن تكتب لها شهادة براءة لتظهر مرة أخرى وتأخذ دورها في التدمير والإفساد.

٢ ـ الحزب القومي السوري الاجتماعي:

رئيسه انطوان سعادة (١٩٣٢م)، وادَّعى أنَّه قام بعملية بعث قائمة على فلسفة

تنقذ العالم من آفة الشيوعية، والحروب، وسباق التسلح، والتفسخ الاجتماعي، والانهيار الاقتصادي.

٣ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي:

تأسس عام ١٩٤٠م بقيادة ميشيل عفلق، خريج مدارس التبشير في باريس ودمشق.

٤ ـ الحزب الشيوعي المنهار:

وقد عمل اليهود على تأسيس فروع للحزب في أرجاء الوطن العربي:

فقد أسس أول حزب شيوعي في فلسطين عام ١٩٢٢م على يد اليهوديَّين الروسيَّين: (أبو زيام، وباكوب قيبر)، وقد سافر باكوب إلى بيروت عام ١٩٢٤م، واستطاع أن يؤسس الحزب الشيوعي اللبناني بالتعاون مع اليهودي (جوزيف برجر).

وفي العراق: أسس صديق يهودا وساسون دلال ويعقوب كوجمان ـ وكلهم يهود ـ أسسوا الحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٢٤م.

أمَّا في مصر: فقد أسس اليهوديان (فيجدور، وناداب) عام ١٩٤٢م الحركة المصرية للتحرر الوطني، ومول هذه الحركة الشيوعية اليهودي هنري كوريل الذي كان يسمَّى بـ«الرفيق يونس»، واستمر تأسيس المنظمات الشيوعية في مصر حتى بلغت ١٤ منظمة، اتحدت مع بعضها عام ١٩٥٨م بدعوة من الحزب الشيوعي الإيطالي ـ وبوحي من موسكو ـ تحت اسم «الحزب الشيوعي المصري».

ويقصد اليهود بزراعتهم للأحزاب الشيوعية في العالم الإسلامي؛ تدمير الروح الإسلامية بمبادئ ضد الإسلام؛ لضرب هويتهم، وإذهاب نخوتهم؛ حتى يسهل القضاء عليهم، لصالح إسرائيل والقوى المعادية.

● رابعاً: محور محاربة الاتجاه الإسلامي والتشكيك فيه:

في العقيدة:

وذلك بإثارة الشبهات حوله وحول صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان،

والتشكيك في السُّنة النبوية والقرآن، وادِّعاء أن القرآن من تأليف رسول الله ﷺ، وإخفاء الصورة الحقيقية لسيرة الصحابة، وإضفاء صورة مهزوزة لهم، والنفخ في الخلافات (مثل: موضوع عليّ ومعاوية)... وإظهار التاريخ الإسلامي على أنه تاريخ للحروب والقهر والفتن، وسحق للحريات، وسلسلة من المظالم، متناسين عدالته وتنويره للشعوب، وإشاعته للمساواة والحب وعدم القهر للأديان، أو التعرض لها ولأهلها بسوء... إلى غير ذلك من المحامد التي مازال التاريخ يسطرها بأحرف من نور.

الحركة:

باتهام الحركات الإسلامية بالعمالة، وعدم إخلاصها في دعوتها، وأنها قائمة على أغراض دنيوية؛ كالزعامة أو السعي لكراسي الحكم، وإطلاق الألفاظ المطاطة؛ كالإرهابيين والمتطرفين والأصوليين المتشددين، التي تنفِّر الناس من الحركات الإسلامية.

* * *